أش ٥٠: ٤-٩أ

النشيد الثالث لعبد يهوه

الأب د. أيوب شهوان
أستاذ مادة الكتاب المقدّس في جامعة الروح القدس – الكسليك

مقدمـــة

وُضِعَ النشيدُ الثالث بنيّةِ تعظيمِ صورةِ العبدِ في أشعيا الثاني، وللتأكيد على أنّ الاضطهاد لا يؤدّي بالضرورة إلى التراجع أو التخاذل أو الفشل بل، وعلى العكس، إلى الذهاب حتى النهاية في معركة رَدِّ الكرامة إلى الإنسان، كما أيضًا بهدف جلاءِ إرادة الله وقدرته تجاه خصومه.

يجري التشديد في النصّ على الحزْم الذي يهبه الله لعبده كي يصمد في تحمّل التعذيب الذي يُنْزَلُ به، وعلى الثقة التي يضعها خادمُ الرب بإلهه، وعلى قناعته بالرسالة الموكَلَة إليه قناعةً لا حدَّ لها.

يتجانس النشيدُ جيّدًا مع أناشيد عبد يهوه الثلاثة الأخرى، خاصة مع الثاني والرابع. من خلاله تعبّر الجماعة اليهودية بعد المنفى، كما أيضًا في نصوص أخرى، عن إيمانها بأن الله لا يتخلّى عن شعبه، بل يجعله يستمر في الحياة رغمًا عن أعدائه. هذا حصرًا موضوع الكلام الإلهيّ الذي يُقال ضدّ الأعداء وضدّ آلهتهم الكونية، الموضوعُ الذي أعطى للنشيد مكانَه في الإطار الذي هو إطاره حاليًا. يمكن ملاحظة الترابط الموجود في أقوال الدينونة بين أش ٤٩: ٢٤-٢٦ و٥١: ٢١-٢٣، وبين أش ٥٠: ٢ب-٣ و٥١: ٦، ٨، ١٠.

كما نشيد عبد يهوه الثاني، النشيدُ الثالث (أش ٥٠: ٤-٩أ)، كلامُ العبد فيه هو في صيغة المتكلّم المفرد. هل من الصدفة أن يكون النشيدان الأوسطان، أي ٤٩: ١-٦، و٥٠: ٤-٩أ، أقوالاً للعبد، بينما الأول والرابع، أي٤٢: ١-٤، و٥٢: ١٣-٥٣: ١٢، أقوالاً لله؟ إن كان هذا عمليةً إنشائية، فإنّ لها معناها، إن من حيث البُنية، وإن من حيث المضمون، وكأن مجموعة أش ٤٠-٥٥ ينبغي أن تكون ضمن إطار واضح المعالم، في البداية والنهائية، بتقديمٍ جليٍّ للعبد الذي يُعلن رسالتَه الخلاصية؛ وكأنّه، من ناحية ثانية، يجب أن تكون في قلب المجموعة المذكورة شهادةُ العبدِ المتألّمِ الذي، وإن بَدَتْ مَهَمَّتُه في أعين الناس أنها قد فشلت، يعلن هو أنه كان أمينًا للذي أرسله وللرسالة التي أُوكِلَت إليه.

في هذا الإطار، يَحْمِلُ أَلَمُ العبدِ – ناقلِ كلمةِ الله– واستشهادُه معنى واضحًا جدًّا: ليس بإمكانِ اضطهادٍ ولا استشهادٍ يحلاّن بإسرائيل إلغاء عطية الكلمة الإلهية للعالم وتتميم الخلاص في العهد. لن تنقص الكلمةُ النبوية المعطاةُ أبدًا، ولن تعلو عليها أيةُ قوةٍ بشرية.

١ – أش ٥٠: ٤-٩أ وإرميا

نحن أمام اعتراف على طريقة إرميا (٥٠: ٤-٩، ١٠ و١١)، حيث يأخذ الاختبارُ والألمُ أهمّية أكبر. يقبل العبد –الذي يذكّرنا هنا بصورة إرميا– الكلمةَ بدون مقاومة؛ يقرّب ذاته للألم، ويختبر في ذاته عونَ الرب،

وينتصر بثقته: "الربّ أعطاني لسانَ مُنشَّئينَ، كي أَعرفَ أنْ أُغيثَ المُعْيِيَ بالكلمة".

كما في النشيد الثاني لعبد يهوه، هنا أيضًا هو عبد يهوه مَن يتكلّم، مَن يتّخذ، وبطريقة صريحة أكثر فأكثر، طابعَ دعوةِ النبيّ ورسالتِه، لكنّه يبقى شخصًا مجهولَ الهويّة؛ فهل هو ذاته عبدُ الفصل السابق (ف ٤٩)؟ هو لا يُدعَى "عبدًا"، لكنّه يشبهه؛ لا يُدعَى "نبيًّا"، ومع هذا فهو يُخبرُ عن دعوته النبويّة بالعناصر التالية: الدعوة إلى الكلمة، وآلام الرسالة، والثقة بالربّ. هكذا، وعلى ضوء نشاط إرميا النبيّ، يمكننا أن نفهم بطريقة أفضل نصّ أش ٥٠: ٤–٩أ. في الواقع، لدينا في إرميا ما يلي:

إر ١: ٢، ٧، ٩: الدعوة إلى الكلمة؛ آ ٨، ١٧: مواجهة الصعوبات دون خوف.

إر ١٥: ١٦، ١٩: الكلمة؛ آ ١٠، ١٧ي: ألم الرسالة؛ آ ٢٠، ٢١: حماية الله.

إر ١٧: ١٥: الكلمة؛ آ ١٧–١٨: ألم الاستغاثة.

إر ١٨: ١٨: كلمة وألم؛ آ ٢٠: استغاثة وإعلان البراءة.

إر ٢٠: ٨–٩: الكلمة؛ آ ٧، ٨، ١٠: الألم؛ آ ١١–١٣: الثقة.

أنْ يحملَ النبيُّ الكلمة الإلهية إلى الناس لَخدمةٌ نبيلة وسامية، ولكنها في ذات الوقت تجلبُ عليه الصعوبات الجمّة والآلام الشديدة، ممّا يستدعي الاستغاثة بالله طلبًا للحماية. هذا ما يجمع بين إرميا وبين عبد الرب الذي يجري الكلام عليه في أش ٥٠: ٤–٩أ.

٢ – كلمة "عبد"

يذكّر المصطلح "عبد" ("عِ بِ دْ"، עבד) بمَهَمَّة موظَّفيّ البلاطات الملكيّة. فعندما يجري الكلام في الكتاب المقدس على "عبدٍ" ما للربّ، فإنّ ذلك يرمي إلى إبراز الرباط الخاص من حيث الانتماء إلى الله، الذي تحدّده دعوتُه الخاصّة. فالعبد مدعوٌّ غالبًا إلى القيام برسالة لصالح الشعب؛ هكذا هم عبيد الله: إبراهيم، وموسى، وداود، والأنبياء. يسلك العبدُ بالطاعة المطلقة لله، واضعًا ثقته به؛ إسرائيل هو بالتالي عبدُ الربّ عندما يعتنق إرادةَ الله، ويصغي إلى كلمته. يعود إشعيا الثاني إلى وعد الله لإبراهيم؛ فباختيار الله له، اختارَ كلَّ الشعب عبدًا له.

يعلنُ العبدُ الرجاءَ والخلاصَ: هو "لا يصيح، وقصبةً مرضوضةً لا يكسر، وسراجًا مدخّنًا لا يطفىء" (أش ٤٢: ٣؛ مت ١٢: ٢٠)؛ يشدّد مَن كان ضعيفًا، وينقل رسالةَ عدلٍ إلى كلّ الأرض، وفي أساس كلّ هذا هناك الكلمة الإلهيّة التي تخلق النبيَّ العبدَ والخلاص.

يستعمل كاتب أش ٤٠–٥٥ كلمة "عبد" عشرين مرّة، إحداها في صيغة الجمع، وثلاث عشرة مرّة منها تدلّ على إسرائيل باعتباره "عبد يهوه"، أمّا المرّات السبع الباقية فهي تقع في ٤٢: ١–٤؛ ٤٩: ١–٦؛ ٥٠: ٤–٩أ؛ ٥٢: ١٣–٥٣: ١٢، وفي الآيات التي ترتبط بهذه النصوص، أي: ٤٥: ٥–٧؛ ٥٠: ١٠ و١١. في هذه المقاطع "العبد" هو شخصٌ فردٌ، وليس إسرائيل، يقف في مواجهة الشعب؛ يجعله الربّ تلميذه، فينيره ويدعوه إلى القيام برسالة لدى الشعب ولدى الأمم. إنه البريء الذي يصغي إلى صوت الربّ.

وإذا كان واضحًا أنّ العبد فردٌ مختلفٌ عن إسرائيل، فإنّ هويّته تبقى بحاجة إلى توضيح. فهناك أشخاص هامّون من العهد القديم مثل موسى، وواحد من الأنبياء، أو الملوك، وحتى قورش، أو أشعيا الثاني بالذات، قد اعتُبِروا كعبيد للرب. في كل الأحوال، يمكننا أن نستنتج أنّ "عبد يهوه" هو النبيّ وإسرائيل.

ولهذا العبد ميزات تذكّر إمّا بتلك التي للملوك، وإمّا بتلك التي للأنبياء. لقد قُدِّمَت اقتراحات عدّة لتحديد هوية العبد انطلاقًا من شخصيّات من العهد القديم.

في تقديم ذاته، يبان لنا أن عبد يهوه ماهر في قيامه بإيصال الرسالة الموكَلَة إليه، أي أنه يتمتّع بالبلاغة المطلوبة وبحُسْن استعمال الكلمة، وفي هذا حكمةٌ تجعله على مستوى المَهَمَّة التي

ترمي إلى تعزية منبوذيّ الأرض؛ لقد أعطاه الربُّ كلمةً تجعله قادرًا على أن يُوجّهَ إلى فاقد الشجاعة التعزيةَ التي يحتاج إليها (رج ٥٠: ٤). بهذا النشاط يلتزمُ عبدُ يهوه بأن يكون على بيّنةٍ من مختلف أوضاع الضياع، والعزلة، والمهانة، والهزيمة؛ هو يجد أبدًا، وفي كلّ مكان، كلمةَ تعزيةٍ للذين يكونون في هذه الحالة من الألم، وكلّ هذا لأنّه، كما يقول، "كلّ صباح يُنبّهُ أُذُنه كي يُصغيَ كالمُتَتَلْمِذين..." (٥٠: ٤). لا شكّ في أنّ عبدَ يهوه هو نبيٌّ أهلٌ لأنْ يتوجّهَ برسالة تعزية إلى المحتاجين إليها.

٣ – تفسير النص

آ ٤: النبيّ رسولُ الكلمة

إذا كان النبيّ إرميا يتكلّم كي "يهدم ويبني" (إر ١: ١٠)، فإنّ نبيَّ أش ٥٠: ٤-٩أ ذو رسالةِ تعزيةٍ (أش ٤٠: ١). هو يحيا من السماع، لأنّه لا يلجأ إلى كلماته هو، بل يتلقّاها في كلّ مرّة من الربّ (رج مت ١١: ٢٨).

- "السيد الرب" (אדני יהוה): يشكّل هذا التكرار للقب الإلهي، "السيد الرب" (آ ٥، ٧، ٩)، تركيزًا على الاعتراف بما يصنعه "السيد الرب" لصالح عبده بطريقة مباشرة، من حيث تنشئته (آ ٤: "أعطاني لسانَ التلميذ لأعرف"؛ "ينبّه أذني ويوقظها لأسمع")، ومن حيث العلاقة والترابط (آ ٥: "السيد الرب" - "أنا")، وبطريقة غير مباشرة، من حيث نصرة العبد (آ ٧: "ينصرني")، وقربه منه، هو مبرِّره (آ ٨: "قريبٌ مبرّري").
- "أعطاني" أو "آتاني" (נתן לי): الفاعل الرئيسي للفعل "أعطى" هو الله؛ فعلاقة الله بعبده تتميّز بـ"عطاء" متواصل من فوق إلى أسفل؛ فكما نقرأ في حك ٩، "أعطى" اللهُ سليمانَ "الحكمة"، "ووهبه تلك الجالسةَ إلى عرشه" (حك ٩: ٤)، و"أرسلها من السماوات، وبعثها من عرش مجده" (آ ١٠)؛ وكما "أعطى" أشعيا (أش ٦)، وإرميا (إر ١: ٤-١٠)، وقَبْلَهُما موسى عبدَه (خر ٢ي) ما هو ضروريّ للقيام بالمَهَمَّة النبويّة، هكذا يعطي الآن عبده، في أش ٥٠: ٤-٩أ، ما يلزم للقيام برسالته، وتحديدًا "لسانَ تلميذ" (آ ٤: לשון למודים)، "لكي يعرف أن يُغيث المُعيِيَ بالكلمة" (آ ٤: לָדַעַת לָעוּת אֶת־יָעֵף דָּבָר)، و"يوقظ أُذنه باكرًا" (آ ٤ و٥: יָעִיר לִי אֹזֶן בַּבֹּקֶר)، و"يفتحها" (آ ٥: פָּתַח־לִי)، والهدف هو "السماع كتلميذ" (آ ٥).
- "لسان المتتلمذين" (לשון למודים): يشير الكلامُ على "لسان التلميذ"، اللسانِ المعطَى من الله، إلى واجب النبيّ الذي يبثّه اللهُ كلماتِه، واضعًا إيّاها على شفتَيه (رج إر ١: ٩).

"اللسان" (לשון): يُبلغ العبدُ النبيُّ الرسالةَ الإلهية بوسيلتين: إمّا بالكلمة، وإمّا بالأعمال عامةً والرمزية خاصةً (رج، مثلاً، أعمال إرميا الرمزية). يُعتبَر "اللسان" (לשון) الأداة الرئيسية لهذا الإبلاغ، لذا ينبغي أن يكون العبدُ صاحبَ لسانٍ بليغ، وإلاّ تعطّلتِ المَهمّة؛ لنتذكّر كيف أنّ موسى الذي كان ألثغَ حاول التملّص من دعوته، فجاءه حلٌّ من عند الربّ، ألا وهو أنّ أخاه هرون يكون المتكلّمَ بدلاً عنه، لكن يبقى موسى عبدَ الربّ، أي مَن يتلقّى الوحيَ الإلهيّ (خر ٤: ١٠-١٦).

"المتتلمذ" (למוד): قد التبست كلمة "لِمُّ و دِ ي مْ" (למודים) على الناقلين والمعرّبين، فرأت فيها طبعةُ ١٩٧٩ اليسوعية "العلماء"، ولكنّها في طبعة لاحقة رأت فيها "التلميذ". أصل الفعل هو למד [١]، ومنه تشتق الصفة למוד التي تعني "المتعلّم" أو "المُتَتَلمِذ"، وهي في النص بصيغة المذكّر الجمع. لذا، يجب تعريبها بـ"المُتَعَلّمين" أو "المتتلمذين". تشدّد كلمة "تلميذ" هنا على استعداد العبد لسماع التعاليم الإلهيّة؛ ويمكن فهمها أيضًا بمعنى "المتنشّىء"، فتدلّ هكذا على مهارة خاصة في الكلام.

- "لمعرفة" أو "لأعرف" (לָדַעַת): لا يكفي أن يكون العبد مختارًا لينجح

(١) TWOT (1116a) למוד *(limmûd)*, taught.

في القيام بالمَهَمّة الموكلة إليه، بل عليه أن "يعرف" كيفية تنفيذها؛ هنا أيضًا يُعطَى العبدُ هذه المعرفة من الله.

- "لإغاثة"، أو "أن أُغيث" (לעוּת): من فعل עוּת، "أغاث". لدينا استعمال آخر للفعل في مرا ٣: ٣٦: "وإذا نُكِسَ الإنسانُ في خصومته، أفما يرى السيد؟" (לְעַוֵּת אָדָם בְּרִיבוֹ אֲדֹנָי לֹא רָאָה).
- "المُعيي" (יָעֵף): تعني هذه الكلمة تعبًا جسديًّا بسبب نقص الخبز والماء، كما أيضًا تعب الفكر والروح.
- "بالكلمة" (דָּבָר): ملفتٌ للنظر أن يكون العبد يتلقّى نوعًا من التربية والإعداد للرسالة بـ"الكلمة"، وأن يكون عملُه مؤسَّسًا على "الكلمة"، ويتمّ إنجازُه بـ"الكلمة". بالطبع، سيأخذ موضوع "الكلمة" بُعْدًا أهمّ مع يسوع "الكلمة".
- "يوقظ" أو "ينبّه" أذني" (יָעִיר לִי אֹזֶן)؛ رج آ ٥: פָּתַח־לִי אֹזֶן: يشكل صَمَمُ بني إسرائيل، الذين "لهم آذانٌ ولا يسمعون" (رج أشعيا)، معضلةً حسّاسة بالنسبة إلى أشعيا النبيّ، لأنّ في الأمر، ليس فقط معصية، بل أيضًا استخفافًا أثيمًا بكلمة الرب ومرسَله. يدلّ "إيقاظ" أو "فَتْحُ الأُذُنِ" على الإرشاد "باكرًا" إلى العمل الذي من خلاله يوحي اللهُ إرادتَه. بالطبع، يبقى "الإصغاء" أمرًا حيويًّا بالنسبة إلى العبد لكونه نبيًّا.

آ ٥: الربّ ينشّىء النبيّ

إنّ رسالة من هذا النوع ليست بالطبع سهلة، إذ أنّها تتطلّب أن يستمرّ النبيّ في خدمة الله، وفي خدمة إخوته، كون الله هو مَن يدعوه لكي يرسله إلى هؤلاء. لا يتهرّب النبيُّ من الدعوة التي تُوَجَّهُ إليه ليحمل المعونة إلى المنفيين العائشين في حالة هلاك. على خلاف العديد من الأجداد (رج أش ٦٣: ١٠)، لا يغتاظ النبيّ من المتطلّبات الإلهية (حز ٢: ٨)، ولا يتراجع (رج ٤٢: ١٧؛ ٥٩: ١٣) أمام مهمّة لن تجلب له سوى الألم. سيذهب نبيُّ أش ٥٠: ٤–٩أ، وبسالة أكبر من تلك التي لإرميا (رج إر ١: ٦، ٨، ١٧)، وبدون تذمّر، إلى مواجهة المصير الذي ينتظره.

يَهَبُ الربُّ نبيَّه "لسانًا"، و"يفتحُ أُذُنَه". لا يُبدي هذا النبيُّ، كما أشعيا (أش ٦: ٨)، مقاومةً لدعوة الله له، وفي هذا في حدّ ذاته هو بريء وبارّ (رج مت ١٠: ٣٢ي).

- "السيد الرب" (هو) و"أنا" (אֲדֹנָי יְהוִה - וְאָנֹכִי): يدلّ الضميران "هو" و"أنا" على الرباط الحميم القائم بين الله وعبده، وكأنّنا أمام فعل تذكير بالعهد بينهما.
- "فلم أُعاص" (לֹא מָרִיתִי): من أهمّ ما يميّز عبيد الرب، وصولاً إلى العهد الجديد، هو الطاعة المطلقة له التي هي، آخر الأمر، فعل حبٍّ عميق لِمَن يخدمون. لذا لا يُذكَر العصيان ذكرًا في حياتهم وفي مسيرتهم.
- "ولا رجعتُ إلى الوراء" (אָחוֹר לֹא נָסוֹגְתִּי): أمام الخصوم والأعداء والمضطهِدين، قد تقول الحكمة البشرية بأنه يجب الانكفاء والتراجع؛ ولكن رجل الله المملوء حكمة سماوية ينظر إلى الأمور من منظار مختلف تمامًا، فيرى في أيّ "تراجع" نجاحًا لمشاريع الأشرار وخذلانًا لتصميم الله، لذلك هو يشرب الكأس حتى الثمالة.

إنّ ما هو أكيد بالنسبة إلى النبي هو الحقيقة الأساسية بأنّ "الربّ الإله (يهوه)"، الذي يَرِدُ ذكرُه ٤ مرات في النص (آ ٤، ٥، ٧، ٩)، يتدخّل في حياته. لقد سبق وأعلن في ٤٨: ١٦ لِثالبيه والمشنّعين به أنّ الربّ الإله قد أرسله ومَنَحَه روحَه؛ أمّا هنا فهو يكرّر مشدِّدًا على أنّ الربّ الإله يُعلِمُه ويسنده؛ فهو الذي أعطاه "أُذُنَ ولسان تلميذ"، أي أنّه تَلْمَذَه له وعلّمَه لكي يجعله أهلاً لأنْ يعلّم بدوره الآخرين. يَكِلُ اللهُ إليه أسرارًا لا يُسلِمُها إلى إسرائيل العاصي: "إني علمتُ أنك تغدر غدرًا، ومن البطن سُمّيتَ عاصيًا" (٤٨: ٨ب). يجعل اللهُ مُرْسَلَهُ يديرُ أُذُنَه كي يصغي بانتباه، وبالتالي يضع كلمته على فم سامعِه، كي يصبح حاملَ كلمته.

في كل صباح يجعل المعلّمُ تلميذه متنبِّهًا إلى إرادته، كي يتمكّن من أن يعضد الآخَرين عَبْرَ نَقْلِهِ مَضمون إرادة الله إليهم؛ مهمّة النبيّ هي تحديدًا "أن يعضد الضعيف"، أي أن يشدّد عزم إسرائيل الذي ذوى وضعف في المنفى، واضعًا إياه من جديد في تواصل مع الكلّي القدرة الذي، ليس فقط "لا يضعف" إطلاقًا، بل ينشّط

دائمًا الذين "يضعفون" (رج ٤٠: ٢٨-٣١). عَبْرَ "تلميذه"، يرمي الربّ إلى إعداد كلّ بني إسرائيل لكي يصبحوا "تلاميذه" (رج ٥٤: ١٣).

آ ٦: الألم

نحن هنا أمام صيغة رثاء، لكن سرد ما يلحق بالنبيّ من آلام وإذلال يأخذ وجهًا مختلفًا. في الواقع، يؤكّد العبدُ أنه "يقدّم ذاته" للإهانات، ويعتبر الشتائم والضربات "مبرَّرَة"، وكأنه يريد أن يقول إنّ الله، ولسبب خفيّ، قد انتقل إلى جانب خصومه. يسعى النبيُّ، ليس فقط إلى عدم تحاشي الضربات، بل إلى مواجهتها بكلّ حَزْم، ودون أن تكون لديه الرغبة في الانتقام هو بذاته؛ فلقد وهَبَ ظَهْرَه[٢] إلى ضاربيه، وخدَّيْه (مرا ٣: ٣٠) إلى ناتفي لحيته[٣]؛ لم يَسْعَ إلى أن يحميَ وجهه لا من الإهانات[٤] ولا حتّى من البصق الذي كان يُشكّل ذروة الاحتقار[٥]. لم ينجح أي من هذه كلّها في جعله يتقهقر.

في قيام النبيّ بمَهَمَّتِه، هو يقبل الألمَ بالتمام. وكما أنّه لا يقاومُ كلمةَ الربّ، كذلك هو لا يقاومُ إهانات الناس، وبهذا هو يتبرّر ثانيةً (رج اعتراض إرميا: إر ١: ٦؛ ١٥: ١٧؛ ٢٠: ٩).

– "نَتْفُ اللحية"، و"الشَتْمُ"، و"التَفْلُ" (לִמְרָטִים וּמִכְלִמּוֹת וְרֹק): كان "نَتْفُ اللحية" أو قصُّها عملاً مُهينًا يُقصَدُ به إذلالُ الأعداء والخصوم (٢ صم ١٠: ٤)، أمّا "الشَتْمُ" فهو إهانة شنيعة بالكلمة. وكذلك "التَفْلُ" هو علامةُ الاحتقار، ولكنّه أيضًا شكلٌ من أشكال العقاب.

نجد هذا الوصفَ الذي في أش ٥٠: ٦، مستعمَلاً في بعض مقاطع العهد الجديد، خاصةً في رواية آلام يسوع الذي يُشتَم ويتلقّى التَفْلَ من قِبَلِ الجنود الرومانيين (رج مت ٢٧: ٣٠-٣١).

آ ٧: مساندة الربّ

لدينا هنا حرف "الواو" (ו) في أول كلمة من الآية (וַאדֹנָי)، بمعناه الاعتراضيّ، أي "ولكن". التعارض قائمٌ في أنّ العبدَ واثقٌ أنّ الله هو إلى جانبه، بينما الآية السابقة تبيّن عكس ذلك. ها هو إذًا التحوّل: التأكّد أنّ الله ذاته يريد ألَمَ عبده، ألمًا يقبله العبد إيجابيًّا لأنه يعلم أن الله يريد ذلك منه.

إذا ثبت النبيُّ غيرَ متزعزع، فلأنّه يحمل في أعماقه هذه القناعة التي ينبغي أن ترسخ في ذهن إسرائيل، وهي "أن الرب الإله يعضده" (آ ٧أ)، كما سيعلن ذلك تكرارًا في آ ٩. ولأنّه متأكّد من عون الله، فهو يصمد في وجه الإهانات التي يجعلونه يرزح تحتها؛ على عكس ذلك، هو أكيد بأنّه لن يعاني "الخجل" (آ ٧ب)، ولهذا، كما إرميا (١: ١٨)، وخاصّةً كما حزقيال، الذي كان الله قد قسّى جبهتَه لكي يكون قادرًا على أن يصمد في مقابل رؤوس إسرائيل القاسية (حز ٣: ٨-٩)، هكذا "جعل وجهَه شبه الصوّان" (آ ٧ب). وفي خطّ سابقيه هو يصرّ على عمل الخير كما يصرّ خصومُه على فعل الشرّ، حسبما نرى في إر ٥: ٣ حول الإصرار على الشرّ، وفي كتاب التعزية (أش ٤٨: ٤). إنّه على قناعة بأنّه هو هكذا في الطريق القويم.

في خضمّ الألم، يختبر النبيُّ معونةَ الربّ التي تجعله أقوى من الألم (رج إر ١: ٨؛ حز ٢: ٨). سيتمّ التوسّع في موضوع ألَمِ العبد أكثر في أش ٥٣ (رج لو ٩: ٥١).

"ينصرني" (יַעְזָר-לִי؛ رج آ ٩): يَرِدُ الاسم עזר (ع ز ر) للمرة الأولى في سفر التكوين حيث نقرأ أن الله جعل المرأةَ حواءَ "عونًا" بإزاء آدم؛ من هنا نتبيّن أهمية الكلمة وجوهرها؛ وما القول عندما يكون الله بالذات هو "عونُ" نَبِيِّه، "يعضده" لدى قيامه بمهمته و"ينصره" في مواجهة أعدائه.

آ ٨-٩أ: الربّ يبرّر وينصر عبده

يدعو النبيّ الذين يسعون إلى مغالبته أن يحضروا أمام المحكمة الإلهية، مستعملاً مفردات قضائية

(٢) في ٥١: ٢٣ المقصود هو ظَهْرُ اسرائيل، الذي داسه البابليّون. في أش ١: ٥-٦، ومز ١٢٩: ١-٣، هو إسرائيل مَن يتعرّض للعنف وللمعاملة الفظّة.
(٣) نتف اللحية ليس فقط مؤلمًا (عز ٩: ٣؛ نحميا ١٣: ٢٥)، بل أيضًا مُهينًا (٢ صم ١٠: ٤)؛ رج أي ١٦: ١٠.
(٤) رج ٤١: ١١.
(٥) حول البصق بهدف الاحتقار، رج عد ١٢: ١٤؛ تث ٢٥: ٩؛ أي ٣٠: ١٠.

يألفها ولها أكثر من موازاة[٦]. ليس فقط سيساعده الربّ الإله، ولكن أيضًا سيبرّره، أي سيعلنه بارًّا، ويعطيه الحقّ عبر تسريع مجيء الخلاص، الأمر الذي سيُظهر للعلن حقيقةَ رسالته وأصالتها. وبما أنّ الربّ ذاته يشهد لبرّ نَبِيِّهِ، فمَن يستطيع إقناع هذا الأخير بذنبٍ ما[٧]؟ بعيدًا عن الانتصار عليه، سيفقد خصومه من اعتبارهم، فَيُطرَحون كثوبٍ قديم بالٍ أكله العثّ[٨]. في الواقع، ليس بمقدور أحد أن يُلبِسَ العارَ أولئك الذين يقيم اللهُ بِرَّهُم، كما سيقول بولس الذي سيستشهد بهذا النص الذي نحن بصدده في روم ٨: ٣١– ٣٤.

– في آ ٨ اللغة هي قضائية. سيستعمل بولس، وفي مقطع شهير، ذات الصيغة ليعبّر عن الثقة بالنصر الأخير: "إذا كان الله معنا، فمَن علينا؟ مَن يشكو مختاريّ الله؟" (روم ٨: ٣١ي). يدعو العبدُ خصومَه، الذين أساؤوا إليه، إلى أن يحضروا أمام القضاء: لا يستطيع أحدٌ أن يحكم عليه، لأنه سيحصل على العدل من الله مباشرة.

قد يُظَنُّ أنّ عدمَ مقاومة النبيّ هو اعترافٌ بالخطيئة يعطي حقًّا للأعداء، أمّا هو فيضع ثقتَه في الربّ فقط، ويواجهُ حكمَ البشرِ بهدوء (رج يو ٨: ٤٦). الربّ هو "المُبرِّر" (מצדיק) الذي سيبيّن براءةَ المُتَّهَم، ويُنيلُه الإعتاقَ من التهمة.

لدينا هنا في آ ٨ مجموعة من التعابير ذات الطابع القضائيّ، هي التالية: "قريبٌ مبرّري" (מַצְדִּיקִי קָרוֹב)، "مَن يخاصمني" (מִי־יָרִיב אִתִּי)، "فلنقف معًا" (נַעֲמְדָה יָחַד)، "مَن صاحب محاكمتي فليتقدم" (מִי־בַעַל מִשְׁפָּטִי יִגַּשׁ אֵלָי). سيدخل هذا الموضوع في العهد الجديد بقوّة، إنْ تجاهَ المسيح (في يو ١٦: ٨–١١، "المُدافِع" هو الروح القدس)، وإنْ تجاهَ المسيحيّ (روم ٨: ٣٣ي).

– في آ ٩أ، لدينا تأكيد أنّ العبد لم يخسر القضيّة، كما كان خصومه يتوهّمون؛ فهؤلاء مقتنعون أنه مذنب يُقِرُّ بذلك، لكونه قَبِلَ الضربات والإذلال، أمّا هو فيقول صراحةً: "الربّ يُعينني"، ولن يقوى أحدٌ على إلصاق أية تهمة به:"فمَن يؤثّمني؟!" (מִי־הוּא יַרְשִׁיעֵנִי). لكن بأية طريقة سيُعادُ إليه اعتباره، وحتى النصر الأخير؟ في آ ٩ حيث يبدو أن الأعداء سيهلكون في النهاية: "كلّهم كلباس يبلَون" (כֻּלָּם כַּבֶּגֶד יִבְלוּ)، و"العثّ يأكلهم" (עָשׁ יֹאכְלֵם). كما هو معروف، الجواب موجود في النشيد الرابع (أش ٥٢: ١٣–٥٣: ١٢).

٤ – أش ٥٠: ٤–٩أ والعهد الجديد

يلفت شارل دُود[٩] الانتباه إلى وجود عدّة نصوص من العهد الجديد، استلهمت أش ٥٠: ٤–٩أ أو استشهدت به، ويشكّل مر ١٤: ٦٥ مثلاً هامًّا في هذا السياق.

وحاول د. لوهماير[١٠] أن يبيّن أن المحاكمة التي أُجرِيَت ضدّ يسوع أمام السنهدرين، حَسْبَ إنجيل مرقس، تَبِعَ سَرْدُها ما في أش ٥٠: ٥ي (رج مر ١٤: ٦٥ وأش ٥٠: ٦ Lxx)؛ من الصعوبة بمكان ألاّ نرى ترابطًا بين النَصَّيْن؛ يريد مرقس أن يُبرز يسوع على أنّه عبد يهوه الذي تكلّم عليه أش، ويبيّن أنّه يتمّم الآمال النبويّة. إنّ الإساءات التي تبدو وكأنّها انتصار على

(٦) حول المصطلحات القضائية، رج أش ٤١: ١. يريد الله أحكامًا لا عيب فيها: ١ مل ٨: ٣٢؛ رج تث ٢٥: ١؛ سيكون أمرًا جسيمًا تبريرُ المذنب، وتجريم البار (أم ١٧: ١٥). حول الدعوى القضائية (ר״ב)، رج أش ٤١: ١١؛ ٤٩: ٢٥؛ أي ١٣: ١٩؛ ٣١: ٣٥. حول الدعوة إلى الحضور: عدد ٢٧: ٢، ٥. لدينا صيغة فريدة ووحيدة هي التالية: "خصمي في القضاء".

(٧) في ٥٤: ١٧ هو إسرائيل من يستطيع أن "يقنع بالذنب" خصومه. حول هذا التعبير، رج حز ٢٢: ٨؛ أي ٣٤: ١٧؛ مز ٩٤: ٢١؛ عا ١٢.

(٨) ترد هذه الصور مجدّدًا في ١٥: ٦: الثوب البالي (مز ١٠٢: ٢٧)؛ في ٥١: ٨: الثوب الذي أكله العثّ (أي ١٣: ٢٨). وبما أنّ الثوب يدلّ على الإنسان، فإنّ بلاه يوحي بموت من كان يلبسه.

(٩) C. H. DOOD, *Conformément aux Écritures*, Paris 1968, p. 93.

(١٠) D. LOHMEYER, *Das Evangelium des Markus*, Göttingen 1951, p. 330.

يسوع، لا تُفشِلُ تصميمَ الله، بل هي، على العكس، تحقيق عميق له.

لقد أفادت الجماعةُ المسيحيّةُ الأولى من نص أش ٥٠: ٤-٩أ من أجل ولوج سرّ آلام يسوع، وبالمقابل، يسوع هو المفتاح الذي يُتيحُ لنا أن نفهم نصَّ أشعيا بكلّ عمقه.

خاتمة

يتكلم النشيد الثالث (٥٠: ٤-٩أ) على شخص عبد يهوه، الذي يبدو شبيهًا بنبيٍّ، خاصّةً بإرميا. هو بامتياز رجل الإصغاء الدائم إلى كلمة الله التي يُبلِغُها حيث ينبغي وإلى مَن ينبغي، بطريقة شفّافة وصافية، لكونه، وبكل بساطة، "تلميذًا" أمينًا للربّ.

لقد زُوِّدَ العبدُ بـ"كلمة"، وعليه أن يُبلغَها إلى إسرائيل الذي حلّ به "الضْنَى". ولكي يقوى على الكلام عليه أولاً أن يصغي، ولكنه لن يتمكّن من ذلك إذا لم يفتح اللهُ له الأذنَين باستمرار. في الواقع، هو يقارِن ذاته بـ"تلميذ" (למוד؛ وستظهر كلمة "عبد"، لاحقًا في ٥٠: ١٠أ). تدلّ كلمةُ "تلميذ" على الطريقة الوحيدة التي بها يتلقّى النبيُّ الحقيقيُّ من التعليم الإلهي الرسالة التي عليه أن ينقل من ثَمَّ إلى الآخَرين. لأجل هذه الرسالة هو يبدو مضطَّهَدًا ومتألِّمًا. يُحتَقَرُ بشكل عنيف، إذ يتعرّض لنَتْفِ اللحية والتَفْل والمهانة. يُعامَلُ كالحمقى (رج أم ١٠: ١٣؛ ١٩: ٢٩)، بينما هو ينطق باسم الوحي الإلهيّ.

يبقى العبدُ أمينًا لأنّه يعلم أنّه مدعومٌ من الله؛ ومع كونه عاجزًا بسبب الضعف، فهو يبقى مستعدًّا لأنْ يتحدّى مضطّهِديه ويواجهَهم، مستمرًّا على ثباته كالصخرة، ومتأكّدًا من أنّ هناك مَن سيبسط العدل آخر الأمر.

يُختَتَمُ النشيدُ بتذكير ظالميّ العبد بالمصير الذي لا يتصوّرونه: ستُبيدهم النارُ التي يشعلونها، أي أنّهم سيُعاقَبون حصرًا بجريمتهم بالذات، وهذا سيحصل نتيجة تدخُّل الله.

لقد فسّر التقليدُ المسيحيُّ نصوص أناشيد عبد يهوه بمعنى مسيحانيّ، مُعتَبِرًا أنّ "عبدَ يهوه" الحقيقيَّ هو يسوع المسيح.

المراجع

BONNARD P. E., *Le Second Isaïe: Son disciple et leurs éditeurs, Isaïe 40-55*, EBib, Paris 1972.

CLIFFORD Richard J., "Book of Second Isaiah", *The Anchor Bible Dictionary*, NY 1992, vol. 3, H-J, 490-51.

DOOD C.H., *Confromément aux Écritures*, Paris 1968.

KRUSE C. C., "The Servant Songs: Interpretive Trends since C. R. North", *StudBT* (1978) 8: 3-27.

LOHMEYER D., *Das Evangelium des Markus*, Göttingen 1951, p. 330.

MATTIOLI Anselmo, *Dio e l'uomo nella Bibbia d'Israele*, Casale Monferrato 1981, pp. 311ss.

TWOT (1116a):

خليفة لويس، **اللاهوت والتفسير البيبلي الحديث**، جزء ٢: **تأويل العهد القديم** (المركز البيبلي الرعائيّ، جبيل-بيبلوس، لبنان ١٩٩٦).

سنن (الـ) القويمة في تفسير أسفار العهد القديم. الجزء الثامن، **تفسير أسفار الجامعة ونشيد الأناشيد** (مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت ١٩٧٣).

فغالي بولس، **الله القدوس، من سفر اللاويين إلى نبوءة أشعيا**، الرابطة الكتابية، محطات كتابية ٢٥: "أشعيا النبي ، أناشيد أربعة"، ص ١٥٣-١٧٩؛ أنظر خاصة النشيد الثالث: "الرب أعطاني لسان التلاميذ"، ص ١٧١-١٧٨.